التوظيف الأدبي في ترسيخ القيم الأخلاقية
شعر محمد الشبيبي أنموذجًا

أ. د. خالد العزاوي عقيد
الجامعة المستنصرية - العراق

تاريخ الارسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2019/07/27	2020/03/23	2020/04/20

الملخص:

يمرُ المجتمع العراقي اليوم بموجة عابرة من عدم الاستقرار الأمني والأخلاقي، ذلك لما يعيشه بعض الأفراد من بُعدٍ عن أخلاق الشريعة وأحكامها المتكاملة في رسم المنهجية المستقيمة للمجتمع، مما أدى بالبلاد أن تفتقد نعمة الأمن والأمان بسبب انعدام القيم الأخلاقية، فضلاً عن ابتعاد جلّ المسلمين عن حقائق الأمور ومجرياتها، ووقوعهم بالمخالفات الشرعية من: ارتكاب المحظورات والوقوع في المحرمات وفعل المنكرات.

إن هذا الأمر يدفع بنا إلى الرجوع إلى تاريخ السياسيين العراقيين الذين لم تنحصر مساهمتهم فقط في سن القوانين وإنما إصلاح المجتمع العراقي عبر بث الروح في القوانين وجعلها نصا متماسكا مع القيم والأخلاق والمبادئ التي تمثل هوية الشعب العراقي. ولعل الشبيبي يعد واحدا من الأمثلة التي نحن بحاجة ماسة إلى البحث في دورها الفعال في إحياء السياسة والمجتمع معا.

سعى محمد رضا الشبيبي إلى بعث تراث الأمة العربية وإحياء مجدها، وتجلى ذلك النشاط في أشعاره ومقالاته التي اطلع بها على الشعب عبر الصحف والمجلات، ومساهمته في المنتديات السياسية والوطنية والاجتماعية. وكان يحاول أن يضع قضية الأخلاق ضمن السياق الاجتماعي التربوي من منظور القيم الأخلاقية المستقاة من القرآن الكريم والثقافة العربية.

الكلمات المفتاحية: التوظيف الأدبي - القيم الأخلاقية - محمد الشبيبي.

Abstract:

Iraqi society is passing through a period of insecurity and moral instability, this is because some individuals live in a distance from the ethics of Sharia and its integrated provisions in drawing the straight methodology of society, which led the country to lack security and safety due to lack of moral values , as well as the alienation of most Muslims from the facts , processes, and their occurrence of violations of the legitimacy of: committing prohibitions , falling into taboos and do evil.

This brings us back to the history of Iraqi politicians, whose contribution not only to the enactment of laws, but to the reform of Iraqi society by spreading the spirit of laws and making them coherent with the values, ethics and principles that represent the identity of the Iraqi people. Perhaps Shabibi is one of the examples that we urgently need to research in its effective role in the revival of politics and society together.

Mohammed Reza Al-Shabibi sought to send the heritage of the Arab nation and revive its glory ,that activity was evident in his poetry and articles, which he showed the people through newspapers , magazines and his contribution to the political, national, and social forums, he was trying to put the issue of ethics within the social context of education from the perspective of moral values derived from the Koran and Arab culture.

المقدمة

الحمد لله مِلء السموات، ومِلء الأرض، وملء ما شاء بعد هذه الأشياء، وأشكر له شكراً يكون جميع المخلوقات حتى الهباء بالنسبة إليه كذرةٍ إذا نُسب إلى أجلّ أجزاءِ الأرضِ والسماء، ثم ألتجئ من الاستحياء إلى حصن لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، يا من آلاؤه عليّ بلا إحصاء، وأكمل الصلوات وأدومها على رسوله محمد قدوة الأنبياء، ومُتمّم مكارم الأخلاق، ومُسدّد الملّة العوجاء، والتحية والرضوان على أصحابه وأزواجه وأولاده، ومَن اقتدى به إلى يوم الفصل والقضاء، أما بعد:

يرمي هذا البحث إلى أن يكون إضافة إلى البحوث والدراسات التي درست شعر الشبيبي، إذ تمّ تأليف العديد من الدراسات عن سيرة حياة الراحل الشبيبي وفي العديد جوانب شخصيته شاعراً وأديباً ورجل سياسة، فضلاً عن العديد من الكتب المؤلفة بحقه في جامعات بغداد والقاهرة والاسكندرية.

سعى الشبيبي إلى بعث تراث الأمة العربية وإحياء مجدها، تجلى ذلك النشاط في أشعاره ومقالاته التي اطلع بها على الشعب عبر الصحف والمجلات، وساهم في المنتديات السياسية والقومية والوطنية والاجتماعية.

وموضوع البحث المعنون: (التوظيف الأدبي في ترسيخ القيم الأخلاقية شعر محمد الشبيبي أنموذجًا) يحاول أن يضع قضية الاخلاق ضمن السياق الاجتماعي التربوي من منظور القيم الأخلاقية المستقاة من القرآن الكريم والثقافة العربية.

يحاول البحث أن يكون إضافة علمية إلى البحوث والدراسات التي تتناول الرؤية الأخلاقية في تقويم المجتمع عبر الديوان الشعري للراحل الشبيبي، انطلاقاً من كون الشعر العربي مصدراً أساس في المنظومة الأخلاقية للمجتمع العراقي.

أهمية الموضوع:

يلتقي موضوع (التوظيف الأدبي في ترسيخ القيم الأخلاقية شعر محمد الشبيبي أنموذجًا) مع الموضوعات التي أكدت عليها القيم الأخلاقية القرآنية والروح السامية للثقافة العربية، لما لها من أبعاد تربوية توصل المجتمع إلى الحضارة والرقي.

إذ أكد الشبيبي في ديوانه على ضرورة صيانة الأخلاق للفرد العراقي في نفسه ودينه وعرضه وماله، جاعلاً الحفاظ على هذه الأخلاقيات السامية من أهم مقاصد شعره.

يمكن القول أنّ شعر الشبيبي شمل جوانب الحياة كافة، من قبيل: القيم الفكرية، والاجتماعية، الاقتصادية، مُدللاً في أبياتٍ عدة على: رؤية شاملة لا تنحصر على العاطفة الشعرية فحسب، بل تتسع لتشمل الحياة الإنسانية بجوانبها المختلفة.

ولقد احتفى شعر الشبيبي بالأخلاق، وسعى إلى تجسيد القيم الأخلاقية الّتي تظهر في سلوك النّاس ومواقفهم كنوع من التّبشير بهذه القيم وترسيخها لدى الأجيال.

ذلك أنّ النّظام الأخلاقي يقوم على وسيلة ضبط لسلوك الفرد داخلياً، سعياً لأن يكون الخضوع للقيم الأخلاقية إرادياً دون إكراه، وهكذا تساهم القيم الأخلاقية بالدور الأكبر من الاستقرار الاجتماعي، فإذا ضعُف الالتزام الأخلاقي، بدأت القلاقل والمتاعب وبدأ الشّك بالقيم والثّقافة المحلية كذلك، عند ذلك يصبح تحقيق الذّات وحيازة الاعتراف الاجتماعي متعارضين مع احترام القواعد الأخلاقية السّائدة، وعندها يكون تأثير القيم والضّبط الاجتماعي في ضعف وانهيار، وعندها لا يمكن ضبط سلوك الأفراد ويتعرض أمن المجتمع للخطر والتهديد.

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول الإجابة عن التساؤلات الآتية:

أ. ما القيم الأخلاقية التي طرحها الشبيبي في ديوانه ؟

ب. كيف وظف الشبيبي حسه الشعري في صيانة أخلاق الأمة وتصحيح مسارها ؟

ت. ما أثر شعر الشبيبي في استقرار القيم الاخلاقية في المجتمع العراقي ؟

ح. ما العلاقة بين شعر الشبيبي وبين الاخلاق العربية والإسلامية؟

منهج البحث:

يقوم البحث على التحليل المنهجي الوصفي للأبيات الشعرية التي تتضمن القيم الأخلاقية في شعر الشبيبي، ولكثرة هذه الأبيات التي تتناول الموضوع وحاجتها إلى مناقشات واسعة يضيق مقام البحث عن تناولها؛ فضلاً عن محدودية الصحائف المطلوبة في تناول موضوعات البحث؛ تسعى الدراسة لبيان: أبرز الوسائل والأصول التي طرحها الشبيبي في ديوانه من أجل صيانة أخلاق المجتمع وتصحيح مساره.

أسباب اختيار الموضوع:

يمرُ المجتمع العراقي اليوم بموجة عابرة من عدم الاستقرار الأمني والأخلاقي، ذلك لما يعيشه بعض الأفراد من بُعدٍ عن أخلاق الشريعة وأحكامها المتكاملة في رسم المنهجية المستقيمة للمجتمع - وبُعداً عن القيم العربية السامية، مما أدى بالبلاد أن تفتقد نعمة الأمن والأمان بسبب انعدام القيم الأخلاقية عند ثلة من المفسدين في مجتمعنا، فضلاً عن ابتعاد جلّ المسلمين عن حقائق الأمور ومجرياتها، ووقوعهم بالمخالفات الشرعية من: ارتكاب المحظورات والوقوع في المحرمات وفعل المنكرات، جميع تلك الإشكالات دفعت بالباحث إلى تناول موضوع: القيم الأخلاقية في شعر محمد رضا الشبيبي، لإبراز القيم الاخلاقية التي تناولها الشبيبي في شعره، انطلاقاً منها لتقويم وتصحيح المنظومة الأخلاقية في مجتمعنا، إذ لا أمان لمجتمعاتنا بغير امتثال النهج القويم والخلق الرفيع الذي رسمه لنا القرآن الكريم والأدب العربي القويم.

التمهيد: قيمة الأخلاق في شعر الشبيبي

لا يخلو ديوان الشبيبي من الطرح الأخلاقي، ذلك لأنّ الأخلاق سمة المُجتمعات الرّاقية المُتحضّرة، فأينما وُجِدَت الأخلاق فثمّة الحضارة والرّقي والتّقدم، ولذلك جعل الشبيبي من مَهمّات شعره أن يُؤكد الأخلاق ويطرح كمالها، فالأخلاق موجودة راسخةٌ برسوخ الأمم، فالأخلاق الحسنة هي حالة إنسانيّة سلوكيّة سعى كثيرٌ من الشعراء للتاكيد على كمالها والوصول إليها وإدراكها.

أهمية الشعر في شعر الشبيبي

يعي الشبيبي أهمية الشعر في ترسيخ المفاهيم والقيم الأخلاقية، ذلك لما في الشعر من خطاب للعقل بأسلوب عاطفي وجرس تنصت له الآذان، ومن أجل ذلك تتضح أهمية الشعر عند الشبيبي في ديوانه، إذ يقول:

يا شاعراً قاد القلوب لغايةٍ ❁ لم يَدنَ منها شاعرٌ أو قائدُ
قرنوا بكل مفوهٍ شيطانه ❁ إما قرينك فالعظيم الماردُ
امتعتنا بذخائر الشعر الذي ❁ لولاه ما نبذ المتاع الكاسدُ
نُشِرَتْ به في كل فج حكمةٌ ❁ وتعوطي المثل البليغ الشاردُ[1]

مؤكداً في موضع آخر على التمييز بين الشعر الجيد وبين الشعر الرديء، ذاكراً أنّ أدق الأقوال ما كان جامعاً موجزاً، إذ يقول:

جمعُ أقوال الرجال أَسدُها ❁ معانٍ كبارٌ في حروفٍ قلائل[2]

يؤدي الشعر العربي وظائف عدة في المجتمع، منها: الدفاع عن قضايا الأمة وصون تاريخها وتصحيح مسيرتها، والتأكيد على قيمها وأخلاقها، يقول أبو عمرو بن العلاء: " كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب، لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيّد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم، ويهول على عدوهم ومن غزاهم، ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم، ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم. فلما كثر الشعر والشعراء، واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوقة، وتسرعوا إلى أعراض الناس، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر"[3].

أهمية الأخلاق في شعر الشبيبي

الخلق في اللغة العادة والطبيعة والدين والمروءة والجمع الأخلاق[4]. وفي عرف العلماء ملكة تصدر بها عن النفس الأفعال بسهولة من غير تقدّم فكر وروية وتكلّف. فغير الراسخ من صفات النفس كغضب الحليم لا يكون خلقا وكذا الراسخ الذي يكون مبدأ للأفعال النفسية بعسر وتأمّل كالبخيل إذا حاول الكرم وكالكريم إذا قصد بإعطائه الشهرة، وكذا ما تكون نسبته إلى الفعل والترك على السواء كالقدرة وهو مغاير للقدرة بوجه آخر أيضا، وهو أنّه لا يجب في الخلق أن يكون مع الفعل كما وجب ذلك عند الأشاعرة في القدرة...

فما قال المحقق التفتازاني في المطوّل في بحث التشبيه من أنّ الخلق كيفية نفسانية تصدر عنها الأفعال بسهولة أي تصدر عن النفس بسببها الأفعال بسهولة مبني على عدم التحقيق هكذا ذكر أبو القاسم في حاشية المطول...

ثم الخلق ينقسم إلى فضيلة هي مبدأ لما هو كمال ورذيلة هي مبدأ لما هو نقصان، وغيرهما وهو ما يكون مبدأ لما ليس شيئا منهما[5].

ولذلك يؤكد الشبيبي في ديوانه على كمال الأخلاق ونبذ رذائلها، مؤكداً أنّ نهضة الأمم بكمال أخلاقها، إذ يقول:

وإذا أراد الله رقـــــدة أمـــــةٍ ❁ حتى تضيع إضاعها أخلاقها

مَلَكَ الضلالُ زِمامُها فإذا خبت ❁ أو امسكت سبب المعالي عاقها[6]

يقرن الشبيبي بين أخلاق الأمم والرقي الحضاري، إذ يقول:

يقولون إتيان الكبائر جائز ❁ وفعل الخطايا المنكرات مباح

أفي هذه الاخلاق للجنس ❁ نهضة وللبشر الآتين من فلاح

يريدون للدنيا ضمادا وإنهم ❁ بجثمان هذا الاجتماع جراح[7]

ينتقد الشبيبي في الابيات السابقة تباهي الدول الحديثة بفعل المنكرات واتيان الكبائر في نواديها ومجتمعاتها، مستنكراً تشوه القيم الأخلاقية في تلك المجتمعات وتردي مفهومها القيمي

نحو الاخلاق، على صعيد الفرد والمجتمع، مشبها حال تلك الدول بالجسد الجريس الذي لا ضماد نافع معه.

وبمقابل نقده للإنحلال وإطلاق العنان للشهوات، يؤكد الشبيبي على الغزل العفيف والحب الفطري، والعفة التي تستمد أصولها من الشريعة الإسلامية وقيم العروبة، إذ يقول:

خليليَّ ما أحلى الغرامَ سجيةً ❁ إذا كرمته غفةٌ وصلاح [8]

المبحث الأول: التخلق بقيم العروبة في شعر الشبيبي

أكد الشبيبي في ديوانه على الأخلاق العربية، والتخلق بها، طارحاً تلك القيم بصورة شعرية راقية نابعة من صدق الشعور والاحساس.

المطلب الأول: الاعتزاز بالعروبة

العروبة من عَرَب، اسم يُراد به خصائص الجنس العربيّ ومزاياه، وهو تعبير عن العُروبة الأصيلة، والعروبة لفظ يدلل على قوميَّة عربيَّة، ويفخر العربُ دومًا بعُروبتهم[9].

يؤكد الشبيبي في شعره على الاعتزاز بالعروبة، ناكراً على أعداء العروبة ومنتقصيها، رابطاً بين الاعتزاز بالعروبة والإسلام، إذ يقول:

ما زالت العربُ قبل الآنَ ناهضةً ❁ فلا تقولوا إذن فلتنهض العرب

لا الفخرَ للناس ما لم يهتدوا بهمُ ❁ أيَنزلُ الوحيُ أم تأتيهمُ الكتبُ[10]

ذلك إنّ علاقة الإسلام بالعروبة ليست علاقة عادية، فالإسلام مرتبط بالعروبة، والعروبة مرتبطة بالإسلام. والإسلام يجعل للعروبة ماكنة مرموقة، إذ عروبة القرآن، وعروبة النبي صلى الله عليه وسلم، وعروبة حملة الدعوة الأوائل ومن أنزل الدين فيهم ومن تحمل أعباءه وإيصاله إلى الناس كافة، وقد وصلت درجة ومكانة العرب في الدين الإسلامي أن جعل حبهم جزءاً من الإيمان، وبغضهم جزءاً من النفاق...

ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم -: (حب العرب إيمان وبغضهم نفاق) [11]. وأيضاً قوله - صلى الله عليه وسلم - لسلمان الفارسي - رضي الله عنه -: (ثم يا سلمان، لا تبغضني

فتفارق دينك، فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف أبغضك وبك هداني الله عزّ وجلّ. قال تبغض العرب فتبغضني) [12].

ومن العروبة ينطلق الشبيبي للتأكيد على مفهوم حب الوطن، تأكيداً على الانتماء إلى الهوية والتاريخ الذي به يصلح الحاضر ويزدهر المستقبل، يقول الشبيبي في ديوانه:

ما عذر طائفة أضاعت مصرها ❁ أن لا تضيع شآمها وعراقها [13]

لائماً في هذا البيت من ضيع الأوطان، وأسلمها للعداة الطامعين، فالوطن العربي في منظور الشبيبي لا يتجزء، إذ بلاد العرب واحدة من شامها وعراقها ومصرها وغيرها من بلاد العرب.

وقد ورد مفهوم الوطن في القرآن بصيغة: الديار والدار، إذ جاء في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [14].

وفي قوله تعالى: ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [15]. فكلمة الديار تعني الأوطان.

المطلب الثاني: الاهتمام بقضايا الأمة

تفاعل الشبيبي في شعره مع قضايا الأمة، فمن يدقق الطرف ويجيل النظر في شعر الشبيبي يجد روح المواجهة للاستعمار الحديث لبلادنا، يعلم من شعره أن هدف المستعمرين محاربة الأمة وتمزيق وحدتها، إذ يقول:

أعياد هذا الشرق صرن ❁ مآتماً لكنها لعُداتنا أعياد

شلّ العداة جموعنا فتفرقت ❁ في الخافقَين كأنها أذوادُ [16]

وهذه القيم تستمد من القرآن الكريم، قال جلّ في علاه: ﴿ **وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ، فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ، فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ**﴾ [17].

والمضامين الاخلاقية في البيتين السابقين تتفق مع روح السنة النبوية، إذ قال رسول الله - عليه الصلاة والسلام -: (ما من امرئ مسلم يخذل امرءاً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه , إلاّ خذله الله في موضع يحب فيه نصرته, وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه, وتنتهك فيه حرمته؛ إلاّ نصره الله في موضع يحب فيه نصرته) [18].

ومن قضايا الأمة رفض وقوع الظلم على أهلها، والمطالبة بالعدالة لشعوبها، وزجر الظلام الضلال ممن تسود عليها بغير حق، إذ يقول الشبيبي:

ألا مـــدرك لهـــذ الـــبلادَ وأهلهـــا ❁ فقد لقيتْ من جورِ ساستها جهداً[19]

مستغيثاً من ظلم الحكام، والجور على الضعفاء من الرعية.

المبحث الثاني: التخلق بقيم الإسلام في شعر الشبيبي

يعد القرآن الكريم أصل الأخلاق الإسلامية , إذ يربط الإسلام بين القول والعمل والقيمة والسلوك، والأخلاق في الإسلام قاسم مشترك على مختلف أوجه الحياة , سياسية واجتماعية وتربوية، وغاية الأخلاق في الإسلام بناء مفهوم: التقوى، الذي يجعل أداء العمل الطيب واجباً محتماً ويجعل تجنب العمل الضار واجباً محتماً، ويجعل الخوف من الله أقوى...

فقد جاء الخطاب من الله تعالى إلى النبي محمد صلى الله عليه في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [20]. مدللاً على النهج الذي اتبعه النبي محمد صلى الله عليه في سيرته وسنته التي يقتدى بها، إذ تؤكد كتب السيرة انه لم يكن لبشر ما كان ! للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الأخلاق، فقد كان أحسن الناس خلقاً وأكثرهم محبة ورأفة ورحمة.

ومن مكارم الأخلاق في القرآن الكريم، حسن المعاملة والعفو وتغليب اللين على الشدة، وغيرها مكارم الأخلاق , فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ**

فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[21]. ففي هذه الآية من الحض على مكارم الأخلاق من الأمر بالعفو والنهي عن نسيان الفضل، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[22]. وفي هذه الآية من مكارم الأخلاق وعظيم الإحسان من من قبيل التعاون على البر والاحسان، وقال تعال: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[23]. فهذه الآية تأمر بالإحسان إلى المحتاجين والضعفاء. .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[24].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[25].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[26].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾[27].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ما يدعو إليه القرآن من مكارم الأخلاق ومحاسن العادات.

المطلب الأول: رفض الخرافة والنفاق

لا شك أن الإسلام بعقيدته الصافية حرر العقل من سلطان الخرافة، والوهم، والجمود، والتقليد، ذلك أن العقيدة ترسخ الحقائق في العقول وتدحض منطق الانحراف وتنبه الإنسان إلى مشاهد هذا الكون بإثارة نزعته الفطرية[28].

فقد اتخذ الإسلام لتصحيح العقيدة وإصلاحها انطلاقاً من إعمال العقل في التفكر والنظر، لذلك أعلى الإسلام من شأن العقل ودعا إلى إعماله في فهم آيات الله تعالى وإدراك دلائل الهداية في الكون والحياة، قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[29]. إذ وعد الله بأنه سيبين لعباده في الدلائل والأحكام ما يحتاجون إليه معاشاً ومعاداً لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها.

ومن هذه القيم الإسلامية ينطلق الشبيبي في شعره لخرس هذه القيم والتأكيد عليها، إذ يقول:

علـــم خرافـــاتٍ وشـــعوذةٍ ❁ والـــدينُ ديـــنُ منمـــاتٍ وأحـــلامِ

موحـــدون ولكـــن عـــز أنكـــمُ ❁ نمـتم وقـد نهضـت عبـادُ أصـنامِ

لا تنكـروا الـذل إنّ الكـون سـنته ❁ تسخيرُ قـوةِ قـومٍ ضَعفَ أقـوامِ [30]

أما عن النفاق والدجل، واستعمال الدين والتدين وسيلة للكسب والعيش، والاتجار بمبادئ الإسلام العظيمة من قبيل بعض الشذاذ وسفلة الناس ممن أساء إلى الإسلام وقيم الأمة، يقول الشبيبي عنهم:

جـــارت علينـــا عصـــبةٌ روحيـــةٌ ❁ شـــقيت بهـــا الأرواح والأجســـاد

ملـــت مســـامعنا ومـــل نجينـــا ❁ ممـــا يكـــرر ذكـــره ويعـــاد

وعظت شـيوخ لـو أصـابت لارعـوت ❁ ولنـال منهـا الـوعظ والارشـاد [31]

وهذه القيم مستمدة من القرآن الكريم، إذ يزعم المنافقون أنهم مُصلحون: ﴿ **أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾[32]. ويبين غايتهم: ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[33]. اتفقوا على مفارقة الوحي، فهم على ترك الاهتداء به مُجتمعون، يقول تعالى: ﴿ **فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾[34]. ولأجل ذلك: ﴿**اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا**﴾[35]. فتركوا حقيقة الإيمان في قلوبهم فليسوا يعرفونها، وهجروا قيم القرآن.

ويذكر الشبيبي أنّ العلم إذا لم يزين بالتقوى والورع فلا حاجة له ولا قيمة بتحصيله، إذ ذاك الجهل المذموم، قائلاً:

إذا لــم يــزدكَ العلــمُ تقــوى وعفــةً ❁ فمن قلة التحصيل حفظُ المسائل[36]

المطلب الثاني: الشجاعة والصبر

توسع الشعراء في وصف الشجاعة وما فيها من جميل القيم ومحاسن الأخلاق، منها قول بلعاء بن قيس:

وفــارس في غمــارِ المــوتِ مُــنغمس ❁ إذا تــأنَّى علــى مكروهِــهِ صــدقا

غشــيتهُ وهــو فــي جــأواء باســلةٍ ❁ عضباً أصابَ سواءَ الرأس فانفلقا

بضــربةٍ لــم تكــن منــي مخالســةً ❁ ولا تعجلتهــا جبنــاً ولا فرقَــا[37]

ولذلك قيل أن الشجاعة عماد الفضائل، ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلة. ويعبر عنها بالصبر وقوة النفس.

قال الحكماء، وأصل الخير كله في ثبات القلب والشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه: الوجه **الأول**: إذا التقى الجمعان وتزاحف العسكران، وتكالحت الأحداق بالأحداق، برز من الصف إلى وسط المعترك يحمل ويكر وينادي: هل من مبارز. **والثاني**: إذا نشب القوم واختطوا ولم يدر أحد منهم من أين يأتيه، يكون رابط الجأش ساكن القلب حاضر اللب لم يخالطه الدهش ولا تأخذه الحيرة، فيتقلب تقلب المالك لأموره القائم على نفسه. **والثالث**: إذا انهزم أصحابه يلزم الساقة «3» ويضرب في وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم، ويقوي قلوب أصحابه، ويرجّي الضعيف ويمدهم بالكلام الجميل، ويشجع نفوسهم، فمن وقع أقامه ومن وقف حمله ومن كبا به فرسه حماه، حتى ييأس العدو منهم، وهذا أحمدهم شجاعة. وعن هذا قالوا: إن المقاتل من وراء الفارين كالمستغفر من وراء الغافلين، ومن أكرم الكرم الدفاع عن الحرم[38].

وقال أفلاطون: الشجاعة من أقوى فضائل العالم، لأنها تبرز ما حاوله من القول أو الفعل.

والشجاعة تكون في الضعيف البدن، الخلو من العمل بشيءٍ من السلاح، فيسمَّى صاحبها شجاعاً، ألا ترى أن سقراط كان يعد في الشجعان، وما بارز عدواً، ولا حمل شيئاً من السلاح! ولكنه قدمت إليه شربة السم وهو يتكلم في النفس مع ملأٍ عنده، فما تغيَّر حتى انقضى كلامه، ثم شربها فمات[39].

ولذلك لم يترك الشبيبي في ديوانه التاكيد على خلق الشجاعة وذم الجبن والخوف، ذاكراً أن الفوز يقترن لمن صاحب الشجاع وتخلق بها، إذ يقول:

والفوز في الدنيا لمن ❁ نبذ المخاوف واقتحم [40]

وكثيراً ما التصق خلق الشجاعة بالصبر، ولذلك قيل: الصبر مطيّة النصر، وقيل للمهلّب بن أبى صفرة: إنك لتلقى نفسك في المهالك، فقال: إن لم آت الموت مسترسلا، أتانى مستعجلا، إنى لست آتى الموت من حبّه، وإنما آتيه من بغضه، وتمثّل بقول الحصين بن الحمام:

تأخّرت أستبقى الحياة فلم أجد ❁ لنفسى حياة مثل أن أتقدّما

وهى قصيدة مشهورة منها:

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ❁ ولكن على أقدامنا تقطر الدّما

نفلّق هاما من كرام أعزّة ❁ علينا، وهم كانوا أعقّ وأظلما

ولما رأينا الصبر قد حيل دونه ❁ وإن كان يوما ذا كواكب مظلما

صبرنا، وكان الصبر منا سجية ❁ بأسيافنا يقطعن كفّا ومعصما

ولما رأيت الودّ ليس بنافعى ❁ عمدت الى الأمر الذى كان أحزما

فلست بمبتاع الحياة بسبّة ❁ ولا مرتق من خشية الموت سلّما[41]

واستمرارا لجهد الساقين في التأكيد على خلق الصبر، يقول الشبيبي عن الصبر وما أصابه من شدة وبلاء، إذ يقول:

ولقد صبرتُ على الرزايا جمةً ❁ وظننتُ أن أوتيتُ أجرَ الصابر

وظهرتُ في جلد ولست إخالهُ ❁ إلا عزاءَ سُويعةٍ في الظاهرِ [42]

وقال الشبيبي أيضاً:

وســـــوف أصـــــابر الأهـــــوال إلا ❁ تمـــادى جفـــوةٍ وعكـــوفَ بـــين[43]

وبعد هذه الجولة في ديوان الشبي عن القيم الأخلاقية، منطلقاً من تراث الأمة العربية لإحياء مجدها، تجلى ذلك في أبيات شعره، واضعً قضية الاخلاق في شعره ضمن السياق الاجتماعي التربوي من منظور القيم الأخلاقية المستقاة من القرآن الكريم والثقافة العربية.

الخاتمة:

الحمد لله المستحق للحمد والثناء، والصلاة والسلام على سيد الخلق والأنبياء. وبعد:

فان أهم ما توصلت إليه في هذا الموضوع هو الآتي:

1. يؤدي الشعر العربي وظائف عدة في المجتمع، منها: الدفاع عن قضايا الأمة وصون تاريخها وتصحيح مسيرتها، والتأكيد على قيمها وأخلاقها.
2. سعى الشبيبي إلى بعث تراث الأمة العربية وإحياء مجدها، تجلى ذلك النشاط في أشعاره ومقالاته.
3. يلتقي موضوع (القيم الأخلاقية في شعر محمد رضا الشبيبي) مع الموضوعات التي أكدت عليها القيم الأخلاقية القرآنية والروح السامية للثقافة العربية، لما له من أبعاد تربوية توصل المجتمع إلى الحضارة والرقي.
4. يمكن القول أنّ شعر الشبيبي شمل جوانب الحياة كافة، من قبيل: القيم الفكرية، والاجتماعية، الاقتصادية، مُدللاً في أبياتٍ عدة على: رؤية شاملة لا تنحصر على العاطفة الشعرية فحسب، بل تتسع لتشمل الحياة الإنسانية بجوانبها المختلفة.
5. للشعر أهمية كبرى في ترسيخ المفاهيم والقيم الأخلاقية، ذلك لما في الشعر من خطاب للعقل بأسلوب عاطفي وجرس تنصت له الآذان، ومن أجل ذلك تتضح أهمية الشعر عند الشبيبي في ديوانه.
6. تفاعل الشبيبي في شعره مع قضايا الأمة، فمن يدقق الطرف ويجيل النظر في شعر الشبيبي يجد روح المواجهة للاستعمار الحديث لبلادنا والاهتمام بافراح الامة واتراحها.

قائمة المصادر والمراجع:

❁ القرآن الكريم

1. البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: 1423هـ
2. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية
3. ديوان الشبيبي، محمد رضا الشبيبي، جمعية الرابطه العلميه والادبيه، القاهره، مطبعة التأليف والترجمه، 1359هـ - 1940م
4. ديوان المعاني: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، دار الجيل - بيروت
5. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت
6. فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين: الإمام الشهيد حسن البنا، دار الدعوة، ط5، 2003م
7. لباب الآداب، أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (المتوفى: 584هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1407هـ - 1987م
8. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1411 - 1990
9. المستطرف في كل فن مستطرف، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: 852هـ)، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ
10. مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: 204هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1999م
11. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429هـ - 2008م

12. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة الأولى، 1996م

13. نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: 733هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423هـ

الهوامش:

1 ديوان الشبيبي، محمد رضا الشبيبي، جمعية الرابطة العلمية والأدبية، القاهرة، مطبعة التأليف والترجمة، 1359هـ- 1940م: 194.

2 ديوان الشبيبي: 61

3 البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: 1423هـ: 1/ 203

4 ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية: 25/ 263

5 ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، الطبعة: الأولى- 1996م.: 1/ 762

6 ديوان الشبيبي: 4

7 ديوان الشبيبي: 40

8 ديوان الشبيبي: 40

9 ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429هـ- 2008م: 2/ 1477

10 ديوان الشبيبي: 67

11 المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، 1411- 1990: 4/ 97

12 مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: 204هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر- مصر، الطبعة الأولى، 1419هـ- 1999م: 2/ 48

13 ديوان الشبيبي: 4

14 سورة الحشر، الآية: 9

15 سورة الممتحنة، الآية: 8- 9

16 ديوان الشبيبي: 34

17 سورة المؤمنون، الآية: 52- 54

18 سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت: 4/ 271

19 ديوان الشبيبي: 18

20 سورة القلم، الآية: 4

21 سورة البقره، الآية: 237

22 سورة المائده، الآية: 2

23 سورة النساء، الآية: 36

24 سورة النحل، الآية: 90

25 سورة الانعام، الآية: 151

26 سورة النساء، الآية: 58

27 سورة الحجرات، الآية: 12

28 ينظر: فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين: الإمام الشهيد حسن البنا، دار الدعوة، ط5، 2003م: 254

29 سورة البقرة، الآية: 242

30 ديوان الشبيبي: 21- 22

31 ديوان الشبيبي: 38

32 سورة البقرة، الآية: 12

33 سورة الصف، الآية: 8

34 سورة المؤمنون، الآية: 53

35 سورة الفرقان، الآية: 30

36 ديوان الشبيبي: 64

37 ينظر: ديوان المعاني: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، دار الجيل- بيروت: 1/ 114

38 ينظر: المستطرف في كل فن مستطرف، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: 852هـ)، عالم الكتب- بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ: 224

39 ينظر: لباب الآداب، أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (المتوفى: 584هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1407هـ- 1987م: 195

40 ديوان الشبيبي: 95

41 ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: 733هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423هـ: 3/ 224

42 ديوان الشبيبي: 99

43 ديوان الشبيبي: 151